الأهرام

المصدر: الحياة

التاريخ: ١٩ اكتوبر ١٩٩٥

فلسفة القوة الاسرائيلية وتناقضها مع مسيرة السلام

عرفان نظام الدين *

■ كل ما وقع من اتفاقات ومواثيق مع اسرائيل، واخرها اتفاق الحكم الذاتي مع السلطة الفلسطينية سيبقى حبراً على ورق، ولن يبصر النور فعلياً وعملياً، وعلى ارض الواقع، ما دامت فلسفة القوة الاسرائيلية لم تتغير، بل تزداد رسوخاً في اعماق المجتمع الاسرائيلي واصول الفكر الذي تغسل به ادمغة الاسرائيليين كل يوم.

وفضيحة قتل الاسرى المصريين، والعرب الآخرين في حروب ١٩٤٨ و١٩٥٦ و١٩٦٧ ما هي الا صورة واحدة من صور الوحشية الصهيونية والعقيدة التي قامت على اساسها اسرائيل ويزعم الصهاينة انها مستمدة من الشريعة اليهودية والتلمود، وتبيح بموجبها دم كل انسان غير يهودي وتستبيح ارضه وعرضه وممتلكاته.

وعلى رغم كل الاحتفالات والمهرجانات التي تقام بمناسبة وبغير مناسبة للتوقيع على كومة اوراق فارغة في واشنطن او تل ابيب او اي مكان آخر، فإن هذه العقيدة ما زالت راسخة، يعمل بموجبها مئات الالوف من المستوطنين المتعصبين والمتطرفين، ويختفي وراء اقنعتها باقي الاسرائيليين الذين يزعمون انهم منقسمون الى صقور وحمائم ومتطرفين ومعتدلين وما هم في الواقع سوى وجوه متعددة لعملة واحدة.

ولا احاول هنا ان اتحدث بلغة الماضي الانشائية، وارفع شعارات ممجوجة، او اوزع سيل الاتهامات، لكنني احرص على الدوام على جمع ما يمكن جمعه من معلومات وتحليلات واحصاءات ودراسات منشورة في الجانب الاسرائيلي حتى لا نتهم بالتحيز او التعصب او العنصرية و«معاداة السامية»!!

وما دمنا في هذا المجال، وهو مجال «من فمك ادينك» فقد وجدت اخيراً سيلاً من الانباء والمعلومات التي تتحدث عن ظاهرة العنف والارهاب المتفشية في اسرائيل من قبل الجماعات الصهيونية المتطرفة التي تخطط للقيام بسلسلة عمليات ارهابية واعمال عنف ضد الحكومة الاسرائيلية وضد الفلسطينيين ثم ضد كل ما هو عربي واسلامي، مثل المسجد الاقصى المبارك ومسجد قبة الصخرة المشرفة وغيرهما.

ونعرف جميعاً، كعرب طبعاً، ان الارهاب مصدره صهيوني، وان اسرائيل جلبته معها ومع المستوطنين الآتين من الشرق والغرب والمسلحين بابشع اشكال التعصب والتطرف والكراهية والحقد، ولم يمر يوم الا وارتكب هؤلاء مجازر يندى لها جبين الانسانية تحت سمع العالم وابصاره من دون ان يدين احد هذه الجرائم فيما تنصب الاتهامات على رؤوس العرب وتنهال الشتائم على المسلمين.

وبين السطور نقرأ كل يوم عن استمرار هذه الجرائم، او المهازل التي يغض ما يسمى العالم الحر الطرف عنها، فقد تساءل يئير شليغ، وهو كاتب اسرائيلي في مقال نشرته صحيفة «هارتس» عن إمكانات تسلم الجماعات الصهيونية الدينية الحكم قريباً، مشيراً الى التغيير الجذري الذي يشهده معسكرها ويتوقع ان يحدث انعطافاً تاريخياً عميقاً. وقال انه اذا تحطم حلم الاستيطان في يهودا والسامرة (الضفة الغربية) وغزة سيتحطم معه بقدر كبير حلم السيادة العامة للصهيونية الدينية.

ولا ننسى الفتوى الدينية التي اصدرها اكثر من الف حاخام ودعوا فيها الجنود الاسرائيليين الى التمرد ورفض تنفيذ اوامر اخلاء المستوطنات او الانسحاب من الاراضي العربية المحتلة. وفي هذا المجال اشار سيخال هرسفور في صحيفة «معاريف» الى ان حركات اليمين التي استمدت افكارها واساليبها من الفاشية تهدد باستخدام السلاح لتنفيذ اغراضها وسياساتها. واشار الى ان ما يسمى الحركة الاصلاحية، التي يشكل اعضاؤها الصيغة الأولى لليمين المتطرف، تزامنت مع عهد صعود الفاشية في اوروبا. ولا بد من عدم تجاهل الحقائق التاريخية وعدم اللعب بها، فرئيس الاصلاحيين زئيف جابوتنسكي اعلن بمرارة ان الزعماء الصهاينة لا ياخذون افكاره بالاعتبار بما فيه الكفاية. اذ ضاقت غالبية الجمهور الصهيوني بالبزات القاتمة للشبيبة الاصلاحية، والشكل الذي اتخذته خطابات جابوتنسكي، والمسيرة التي نظمها رئيس منظمة بيتار برلين جورج كارسكو عشية صعود النازيين الى السلطة.

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

من خلال هذه الخلفية التاريخية يمكن فهم اسس الحركة المتطرفة في اسرائيل هذه الأيام ومحاولتها نسف مسيرة السلام، كما يمكن فهم ما ذكره الكاتب من ان التاريخ مستمر، ويعيد نفسه بين ما كان يحدث عام ١٩٣٩ وما يحدث الآن بعد ٥٦ عاماً.

اما عوزي بنزيمان («هارتس») فيشير الى جذور العنف المتاصل وتصاعده في الآونة الاخيرة، وسط تعبئة عقائدية منظمة تؤجج غرائز الانتقام والاجرام. ويشير الى مقتل الشاب الفلسطيني سلمان حسيني زماعرة في حلحول على يد مجموعة من المتعصبين الصهاينة كمثال على هذا التصعيد الاجرامي. وهي عملية تشبه الى حد كبير جريمة قتل الاسرى المصريين بدم بارد وسادية رهيبة. اذ اقتحمت مجموعة تضم خمسة او ستة اشخاص يلبسون الزي العسكري الاسرائيلي ويعتمرون القبعات الدينية، او العادية بلدة حلحول فجر يوم جمعة، وقامت بتفتيش عدد من المنازل مثيرة الرعب والذعر في قلوب السكان. وعندما وصلت الى منزل عائلة الزماعرة، كان وجها عضوين في المجموعة مغطيين بكمامتي غاز، فيما انتشر الآخرون حول المنزل. واقتاد الملثمان رب الاسرة وقيدوه وسرقوا هويته، وعندما عاد الشاب سلمان الى منزله اطلق احد الملثمين النار عليه وارداه. وقال الكاتب ان هذه العملية هي جزء من سلسلة من اعمال التنكيل العنيفة التي

نفذها متعصبون يهود ضد السكان الفلسطينيين، من بينها قتل عجوزين فلسطينيين كانا يزرعان ارضهما بسلام في جوار مستوطنة تقراح بعد اغتيال مئير كاهانا في نيويورك. كما قتل صهيوني فلسطيني في بلدة ترقوميا. والقى اربعة مراهقين صهاينة قنبلة في سوق اللحامين في القدس القديمة ما ادى الى مقتل عربي واصابة عشرات بجروح. وقتل فلاح عجوز في بلدة ترمسعيا على يد مراهق من مستوطنة شيلو، عدا عن المجازر الكبرى وفي مقدمها مجزرة الحرم الابراهيمي الشريف التي نفذها المستوطن باروخ غولدشتاين.

وقال بنزيمان انه امام ثقافة الثار للدم تطرح دولة متنورة (!!) من طراز اسرائيل للوهلة الأولى قواعد لعبة تتمثل بالقانون والقضاء والنظام، ومقتل الزماعرة يدل على انه تلوح في سماء المجتمع الاسرائيلي مظاهر عنف تتعارض مع القانون ولا تقبلها السلطة، فلا يدور الحديث حول أسس جنائية صرفة موجودة في كل المجتمعات، بل حول ظاهرة ذات طابع وطني متعصب. وتواصل اعمال القتل التي ينفذها يهود بحق فلسطينيين نتيجة دوافع انتقامية او نتيجة تعصب ايديولوجي، يبرر لنا تكرار الأمور المسلم بها، الا وهي ان التحريض اللفظي يؤدي الى اعمال اجرامية خطيرة، وللكلمات الصادرة في الجانب الاسرائيلي قوة انفجار قاتل.

و«ثقافة القوة» هذه كانت محور دراسة واسعة قديمة نشرها شوش عوزرد في «علهمشمار» عام ١٩٩٢، قال فيها «ان احد الأشياء التي صنعتها اسرائيل في الحروب لليهودي في شكل خاص، هو شحنه بالقوة، اي انه اصبحت لليهودي قوة، وهو ليس ضحية فقط انه صاحب قدرات جبارة وينتمي الى اسرائيل التي تمثل سياسة شعب يعود للتاريخ، ويلعب بالتاريخ وفقاً لقوانينه وسننه». كما ان فلسفة القوة تجعل كل شيء غير قابل للحل الا بالقوة، ولا يمكن تحقيق الأهداف الا بالقوة!! ويقول ايضاً ان سياسة التضليل وتسميم الوعي تكفي كي يظل الارهاب وينمو يوماً بعد يوم. ان الصرخات التي اعتدنا عليها «الموت للعرب» هي جزء من فلسفة التضليل وإفساد الراي.

ويقول الكاتب في الختام ان الخطر على اسرائيل في الجيل الحاضر، وربما المقبل، فالسلام الثابت والعادل وحده يشفي المجتمع ويقلل حدة الخطر الى حد كبير، ولكن لن يتوفر الأمن بصورة مطلقة، اما سياسات الحرب والتصعيد المستمر اضافة الى تخلي العالم عن اسرائيل وفقدان من تعتمد عليه، فإنها بالتاكيد ستضاعف الخطر...

وفي تقرير سابق لمركز المعلومات الاسرائيلي لحقوق الانسان تفاصيل مقززة عن تصرفات وممارسات ليس المتعصبين فحسب بل افراد الجيش ايضاً الذين يقتلون العشرات من الشبان العرب بدم بارد، باطلاق

النار عليهم من مسافة قريبة وعلى الجزء العلوي من اجسادهم كوسيلة من وسائل حرب التصفية ضد الفلسطينيين، اضافة الى عمليات «صيد البشر» و«القنص» وادعاء القتل الخطا وتصفية المطلوبين من دون محاكمة... ليخلص الى القول ان من الصعب الامتناع عن التوصل الى نتيجة مفادها ان الجيش الاسرائيلي، مثل الأوساط السياسية الأخرى، يرتكز على اصوات الشارع التي تنادي باعدام جماعي و«الموت للعرب». هذا هو الشعار المقزز الذي ظل يتردد في أرجاء فلسطين المحتلة قبل عام ١٩٤٨ وبعدها، كما تردد على مراحل، وما زال يتردد اليوم على رغم كل ما يشاع ويقال ويكتب عن السلام والتطبيع والشرق الأوسطية والتعاون الايجابي والمشاريع المشتركة وكل الارهاصات الاخرى للسلام.

ففي الوقت الذي تسود الرغبة بالسلام الشارع العربي من المحيط الى الخليج، عن صدق وعن حاجة، وربما عن رضوخ للامر الواقع، نجد ان المتعصبين الصهاينة يزدادون شراسة وعنفاً ويهددون ويتوعدون ويرفضون أسس السلام ومرتكزاته، كما يحاولون وضع العراقيل وتاجيج غرائز الحقد والكراهية. وما التخطيط لاقامة الاحتفالات الضخمة في القدس سوى جزء من مخطط مشبوه واسع يستهدف اثارة الفتن والنعرات واشعال نار حرب اهلية لا حدود لها.

وكما قلنا من قبل، وقال غيرنا، فإن اي حديث عن السلام لا تثبت جديته ما دامت فلسفة القوة هي السائدة في اوساط المجتمع الاسرائيلي بكل طوائفه الحزبية والرسمية والسياسية والعسكرية والاجتماعية والفكرية والدينية. فالعبرة بالنفوس وليس بالنصوص. وكل نقطة دم تراق في هذه المرحلة تتحول الى بحر من الكراهية والشك، لأن العرب قبلوا بالسلام لكنهم لن يقبلوا بالاستسلام اياً تكن النتائج، ومهما قيل عن الوضع العربي المتردي وحالات الانقسام والفرقة والتشرذم والانهيار.

فسياتي يوم ينتفض فيه العرب لكرامتهم ويردون الصاع صاعين، رداً على المذابح والجرائم الوحشية وقتل اخواننا العزل من السلاح، وارهاب من تبقى من المناضلين بترويج مزاعم الارهاب والتطرف واظهارهم بمظهر الوحوش البشرية والمعادين للسلام... مع ان العنف العربي لا يرتقي الى مستوى العنف الاسرائيلي، واي عملية يقوم بها عربي لا قيمة لها مقارنة مع جرائم الصهاينة المستمرة.

وعلى الاسرائيليين ان يختاروا بين السلام العادل والمشرف، سلام الشجعان، ويتخلوا عن العنف وفلسفة القوة وسيطرة الغطرسة والغرور والكراهية... وبين مسلسل العنف وحمامات الدم.

وعلى اسرائيل ان تختار... والبادئ اظلم.

---

* كاتب وصحافي عربي

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

حماس ومسألة المرجعية

■ في استطاعة المسؤولين في «حماس» الذين مرجعيتهم في الخارج، أي خارج القرار الفلسطيني المستقل ان يدعوا قدر ما يشاؤون ان ليس في استطاعتهم التوصل الى هدنة مع السلطة الوطنية الفلسطينية. وفي استطاعتهم ان يرفضوا الى ما لا نهاية قبول وقف العنف والعمليات العسكرية، لأن معنى ذلك سيكون وقف المزايدات ومحاولة مواجهة الصعوبات الحقيقية التي تواجه الشعب الفسلطيني في هذه المرحلة الحاسمة من تاريخه. والأكيد ان المزايدات تظل الطريق السهل خصوصاً ان الشعارات الطنانة لا تزال تستهوي «الجماهير» بكل ما تعنيه هذه الكلمة من فراغ وابتعاد عن الواقع.

اما الصعوبة، فهي تكمن في الاستفادة من تجارب الماضي ومحاولة القيام بعملية نقد ذاتي والاعتراف بأن ما تحقق فلسطينياً حتى الآن هو افضل ما يمكن تحقيقه، وأنه لولا اتفاق اوسلو ولولا الشجاعة التي امتلكها رجال من عيار ياسر عرفات و«ابو مازن» لما تحقق هذا الانجاز الذي قلب كل الموازين الشرق الأوسطية واتاح للفلسطينيين للمرة الأولى في تاريخهم الحديث استعادة أرض عائدة لهم، بدل التباهي بممارسة سلطة وهمية على أرض الأردن او لبنان وعلى حساب الأردن وعلى حساب لبنان..

الأكيد ان من حق حركة مثل «حماس» ان تكون حزباً سياسياً يسعى الى تولي السلطة، ولكن من حق رجال «فتح» الذين ايقنوا في النهاية، وبعضهم منذ البداية، ان الصراع الحقيقي هو على القرار الفلسطيني المستقل وعلى امتلاك هذا القرار، ان يطلبوا من الحركة ان تكون فلسطينية اولاً وألا تدخل في مشاريع تسهل اضاعة ما تحقق حتى الآن.

من هذا المنطلق يمكن فهم أن ياسر عرفات لن يكون على استعداد في أي شكل من الأشكال للسماح لأي فئة فلسطينية، مهما رفعت شعارات وطنية ظاهراً، بإزاحة المسيرة عن الخط المرسوم لها. فالأولويات الفلسطينية في هذه المرحلة ليست شعارات على نسق تلك التي اطلقت في الستينات والسبعينات والثمانينات من نوع «كل السلطة للجماهير» او ان طريق القدس تمر في هذه العاصمة او تلك، او حتى في مدينة جونيه اللبنانية. ذلك ان المطلوب أكثر من أي وقت هو الابتعاد عن الشعارات الطنانة والكلام الفارغ، لا لشيء سوى لأن هذه الشعارات أدت في الماضي الى مذابح في الأردن ولبنان، لكنها لن تؤدي هذه المرة سوى الى مذابح على أرض فلسطين بين الفلسطينيين انفسهم. وستكون نتيجتها الوحيدة ان الفلسطينيين لا يستحقون دولة، وأن كل نضالهم المشروع خلال سنوات طويلة لم يؤد إلا الى نتيجة واحدة هي ان الذين قالوا في اسرائيل وخارجها ان لا مكان للفلسطينيين على الخريطة السياسية الشرق الأوسطية هم على حق!

المسألة في النهاية هي مسألة مرجعية بالنسبة الى «حماس». هل تقبل ان تكون مرجعيتها خارج السلطة الوطنية الفلسطينية، نعم أم لا؟ هل تقبل ان تكون مرجعيتها هذا النظام العربي او غير العربي او ذاك؟ وهل ان أياً من الأنظمة، التي ارتضت ان تكون مرجعية لها، يصلح للتعاطي مع حقائق التسعينات المتمثلة في الديموقراطية والتعددية واحترام حقوق الانسان؟

من هنا تبدو مسؤولية «حماس» كبيرة هذه الأيام، لأن الخيار هو بين مشروع وطني يسعى الى تحقيق بعض أهداف الفلسطينيين آخذاً في الاعتبار موازين القوى الاقليمية والدولية، وبين مشروع وهمي يمثل الطريق الأقصر الى العودة الى دوامة العنف.. ولكن بين الفلسطينيين انفسهم هذه المرة. أي «حماس» ستنتصر؟ هذا هو السؤال الكبير.

خيرالله خيرالله

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

الفلسطينيون والتنمية

■ ثمة علاقة جدلية واضحة جداً بين مراحل تنفيذ اتفاق اوسلو الفلسطيني – الاسرائيلي والمساعدات التي تحصل عليها السلطة الوطنية الفلسطينية، ليس فقط لتسديد نفقات دوائرها الرسمية ومؤسساتها ولكن ايضاً لتنفيذ مشاريع التنمية. وكان احدث مثال على ذلك الاجتماع الذي رأسته النروج في واشنطن للدول المانحة للمساعدات للفلسطينيين بموازاة الاحتفال هناك بالتوقيع على الاتفاق المرحلي لتوسيع الحكم الذاتي.

من ناحية يمكن اعتبار هذه المساعدات عصا وجزرة في آن معاً، بمعنى ان الدول المانحة تحجب مساعداتها في انتظار حصول المزيد من «التقدم» في عملية السلام على مسارها الفلسطيني – الاسرائيلي، وتلوح بالمساعدات على مستوى أكثر سخاء، كمكافأة عندما يحصل «التقدم». ومن ناحية اخرى يرتبط مستوى المساعدات وحجمها بمستوى الحاجات المتنامية لسلطة فلسطينية تتسع صلاحياتها ومسؤولياتها على رقعة جغرافية أوسع وتشمل المزيد من ابناء الشعب الفلسطيني في الداخل.

هذا على المدى القصير، ولكن ما هي احتمالات التنمية الاقتصادية، وبالتالي الانسانية، الفلسطينية على المدى الأبعد؟

لا بد أولاً من إلقاء نظرة على ما أنجز أو لم ينجز حتى الآن محلياً، في غزة وأريحا، والمرتقب تحقيقه في المرحلة السابقة للمفاوضات على الوضع النهائي لأراضي الحكم الذاتي الفلسطيني قبل الانتقال الى عرض ما يجري طبخه دولياً واقليمياً لمستقبل التنمية الاقتصادية في المنطقة في ضوء عملية السلام ومواكبة لها.

ان مناطق الحكم الذاتي ما زالت تفتقر الى كل شيء تقريباً في مجالات البنى التحتية والخدمات العامة كالماء والكهرباء والخدمات الصحية والتعليمية على أسس كافية ومستقرة، ناهيك عن مستوى البطالة المرتفع جداً، خصوصاً في قطاع غزة. ولا يكاد ما انجز في أي مجال من هذه المجالات يتجاوز كونه قطرة في بحر.

أهم من هذا وأخطر ان سيطرة اسرائيل على حدود الضفة الغربية وقطاع غزة والعلاقة الاقتصادية المتشابكة بين اسرائيل وهاتين المنطقتين ستتيحان للدولة العبرية في أي وقت تشاء خنق فرص التنمية الاقتصادية أو الحد منها. ولو كان الأمر بخلاف ذلك لاستطاع مزارعو غزة واريحا وغيرهما من المدن والمناطق الفلسطينية ان يصدروا منتجاتهم بحرية الى أي مكان يشاؤون، كبلدان الاتحاد الأوروبي وغيرها. ولم نسمع بعد عن أي تنفيذ مقنع مفيد لاتفاقات اقتصادية ثنائية مع الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة أو حتى مع بعض الدول المجاورة.

على المدى الأبعد، وقياساً على أداء الجانب الفلسطيني في المؤتمر الأول للتنمية الاقتصادية في الشرق الأوسط وشمال افريقيا الذي عقد في المغرب العام الماضي، لا يبدو هذا الجانب مستعداً بعد بمشاريع محددة وا ضحة وواقعية يمكنه اجتذاب الدعم لها على رغم كل العقبات الموضوعة في طريقه من جانب اسرائيل.

وعما قريب سيشارك الفلسطينيون في المؤتمر الثاني للتنمية الاقتصادية في الشرق الأوسط وشمال افريقيا في العاصمة الاردنية، وسط حديث اردني عن السعي الى ايجاد كتلة اقتصادية تضم اسرائيل والأردن وفلسطين وبلداناً عربية مشرقية اخرى لاحقاً. ويبدو منذ الآن ان الولايات المتحدة واسرائيل سيكون لهما نفوذ قوي في هذا المؤتمر الذي تعتقد جهات عديدة مختصة ان بريقه سيفوق بدرجات كثيرة نتائجه الملموسة. ومع ذلك فإن المشاركين فيه سيسعون كل الى تحقيق مصلحته. ولا بد للطرف الفلسطيني ان يكون في وسط الصورة في هذا المؤتمر وان يكون حضوره قوياً، اذ لولا موافقته على سلام مع اسرائيل لما كان المؤتمر اصلاً.

ماهر عثمان

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية